مؤتمر الحوار الوطني الشامل
بالحوار نصنع المستقبل
14 OCTOBER
14 أكتوبر
يومية - سياسية - عامة
www.14october.com
www.14october.com
الأثنين - 19 أغسطس 2013م - العدد 15844

إشراف / فاطمة رشاد

الموت يغيب السيناريست والناقد الفني رفيق الصبان

■ دمشق/ متابعات:

غيب الموت، مساء السبت الناقد الفني والكاتب السوري الكبير رفيق الصبان بعد معاناة مع المرض، بعد رحلة تعدت الأربعين عاما في القاهرة من إبداع وعطاءٍ في مجال النقد الفني المصري.

عانى الصبان من أزمة صحية استلزمت قضاءه أسبوعا في العناية المركزة بأحد مستشفيات القاهرة وتوفي إثر أصابته بأزمة قلبية حيث كان يعاني آلاما في الصدر وأمراضا في القلب والكلى والشرايين.

ومحمد رفيق الصبان هو كاتب، وناقد، وسيناريست سوري كبير أقام في مصر منذ أوائل السبعينات بعد أن أسس المسرح القومي في سوريا وعمل أستاذا لمادة السيناريو في معهد السينما، وكتب أكثر من 25 فيلما سينمائيًا، وأكثر من 16 مسلسلا، وقد قدم ما يفوق الأربعين عملا دراميا، كان أبرزها (الإخوة الأعداء)، و(الرغبة)، و(قطة على نار) و(ليلة ساخنة)، أما أول أعماله فكان (زائر الفجر) عام 1972.

حصل الصبان على وسام الفنون والآداب الفرنسي بدرجة فارس، وكان عضوا في اللجنة العليا لمهرجان القاهرة السينمائي، وأيضا المستشار الفني لمهرجان (الإسكندرية السينمائي)، كما كان عضوا سابقا في جمعية كتاب ونقاد السين.

جدير بالذكر أن أسرة الناقد الراحل قد

قراءة نقدية في رواية غياهبنا للكاتب حسن أبوقباعة

›كتبت / عزة رجب

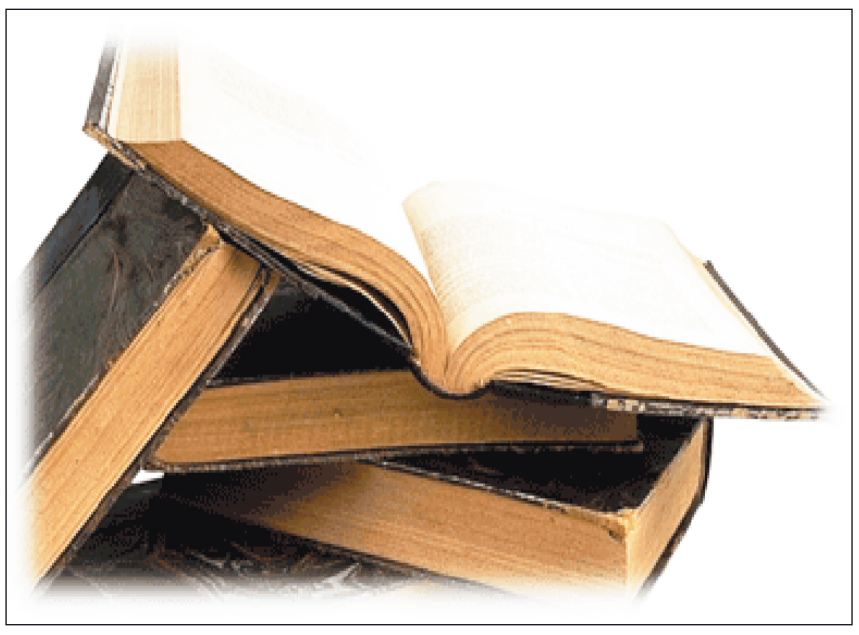

تعرضت الرواية الليبية لكثير من عوامل التعرية من قبل النظام السابق، فكانت ضحية لمقص الرقيب، وسلط عليها من يحدد لها منهجية الكتابة بأطوار معينة تخدم النظام السابق وأجندته ، وتمجد شخوصه، وتتحدث عن تاريخ أعمدته الدخانية السابحة في فضاء الكلمة الضيق الأفق وقتذاك وحتى من تجرأ وكتب بإسهاب في الرواية الليبية كان إما أن يتحدث بموضوع روائي لايمت للنظام بصلة ولا يقترب من واقع ليبيا المعاش أو يتغزل بين الفينة والفينة بحروف الجمال الصحراوي الليبي، وفوتغرافيا ليبيا المفتوحة للكتاب بشكل عام وهذا ليس من باب التروية للنصوص الليبية العميقة الفكر مهما كان موضوعها ، إلا أن عمق الثراء الليبي بالفكر الروائي خلق تشعبات و اتجاهات روائية كثيرة بعيدة عن الارتشاف للكلمة في ظل النظام، مما حدا ببعض الكتاب لإنجاز أعمالهم بعيداً عن الرقيب الليبي، ومقص الكلمات، والاتجاه للرمزية الاسقاطية كنوع من النجاة من حبل مشنقة النظام الذي لم يكن يرحم سوى بالقصاص والخلاص لمن تعرض ولو برمز للنظام .

بدأ الكاتب حسن أبو قباعة المجبري الكتابة منذ نعومة أظفاره ..كتب العديد من القصص القصيرة التي أثرى بها المكتبة الليبية، وله ديوان شعر كذلك بعنوان (اعتذار) .

وله محاولات رواية ضمن سلسلة غياهبنا المقتبسة من روايات نجيب محفوظ مأخوذة بفكر خاص لاينكره الكاتب قدر ما حاول التعريف به أنه تطوير لرؤى معينة أقتبسها من فكر الأديب الكبير نجيب محفوظ .

و أذكر أن الموقع هنا تم إثراؤه بهذه الرواية ..من الكاتب نفسه برواية غياهبنا ...غياهب الحي المقابل ....التي تتعدد فصولها يتجه الكاتب إلى الإسقاط الرمزي كنوع من التعريف بفحوى الحياة الليبية العادية وماتتعرض له من عوامل كبت، وخنق، ورصد يومي لكل التحركات الشعبية بالبلد .

يتجه الكاتب إلى التنوع في الشخصيات، و التاريخ، والإسقاطات، و السيرة الذاتية لهذه الشخوص، ومراتبها العملية ،حتى أنه يصنفها بطريقته الخاصة كأنها جاءت في تشكيلة طيفية لمختلف طبقات الشعب .

تدور أحداث الرواية في إحياء متنوعة البيئة بين حيين أحدهما للأحياء ...والحي المقابل له والذي يتمثل بحي الأموات المقابل لهذا الحي بشكل مقبرة، فيعالج بها إسقاطاً رمزياً .

عن طريق تلبس الأموات لبعض سكان الحي المقابل ،ليقضي بهذا على المشاكل اليومية التي تكتنف الأحياء المقابلة ...فعلى هذا النهج يرى الكاتب أن العيون المفتوحة التي تضع الحلول بهكذا مجتمع يتعرض لكل عوامل الكبت، هي ذاتها العيون التي تم طمسها وقتل أرواحها و إرسالها للمقبرة . ومن ثم تبدأ هذه الأرواح رحلتها في إنجاز مالم تنجزه في حياتها

فتقلب الكثير من الصور والكثير من الأوضاع الدرامية التي تدور في الحي المقابل .

ويتجرأ الكاتب فيسقط تسميات مباشرة لأعمدة النظام ويبرم معها صداقاته مع غيره، ليجعلها تسير بذات القالب الذي أنشأه، فاستخدام اسم الحاج عمران و أولاده ...يجسد لنا شخصية القائد المقبور القذافي، ويرسم لها بخطوطه العريضة طبيعة العيش والتعايش بين الأب و أبنائه بصورة حقيقية ،مما يعكس طبيعة حياتهم مع أبيهم ، ويرسم نهاية.

في تصور الكاتب نهاية ناجمة عن سوء هذه العلاقة بين الأب و أبنائه، والتي تنتهي بمقتل الأب غدراً على يد أبنائه.

ويضع بالمقابل شخصية الحاج مبارك، كنوع من التقصي والبحث عن حقيقة موت الأب عمران ...وهذا التقصي فيه انعكاس للدور المصري في هذه العلاقة الاسقاطية بين البلدين، والتي بطبيعة الحال هي وليدة صداقة حقيقية تربط بين الأسرتين المالكتين ...

أيوب هو بطل هذه الشخصيات الدرامية التي قولبها الكاتب في قالب يشبه النص المقصوص أو المكبوت ...فأبدع هنا في إنتاج أرواح طليقة تعالج ظواهر شخوصية صارعت شتى أنواع المرض الثقافي من تعرض للرقيب والحرية الفكرية والإنسانية.

تعكس أيوب قصة الإنسان الصبور الناجح الذي خلقه الله بصفات مميزة أظهرت عيوب أقرانه دون أن يدري ، فانهالت عليه المشاكل دون أن يتفطن لأحياء الحي المقابل التي تعلم وتدري بما يُحاك ضده من دسائس كونها أحياء تعيش وترى لأنه أرواح الموتى بالمقبرة المقابلة لحي أيوب.

يستخدم الكاتب جملاً سريعة خاطفة التعبير. تعبيرات إيجازية غير مماطلة وغير مسرفة في العمق ، تصل بمفهوم القارئ بسرعة بدون إيهام للنص ، أو التمويه به لعقل القارئ، فيفهم القارئ فوراً المقصود من هذه العبارات دون الحاجة لأن يترك النص الروائي لغموضه

وهذه اعتبرها كناقدة نقلة نوعية في طريقة الكتابة تبعاً للظروف التي كانت تخضع لها الرواية الليبية من متابعة شديدة من النظام ، وسيطرة بعض الكتاب على الكتابة بنصوص مفتوحة دون غيرهم بما يخدم مصالح النظام وقتذاك.

فالكاتب كتب بشكل إسقاطي ولكنه إسقاط عمودي مباشر ..ليس فيه انكسار ..إنه يصيب مباشرة الشخصية ويضطرها للتعايش مع النص والعبارة بطريقة مختصرة جداً.

الرواية تمت طباعتها بمصر بمطابع الأهرام.. وتم توزيعها هنالك بمصر ، ولم يمنع ذلك من انتشارها بين أيادي المثقفين الليبين و قراءة هذه الجرأة التس تتشكل يوماً بعد يوم على هيأة صفعات تتوجه لوجه النظام وتجعله بلا ماء وجه جراء التعسف الممارس على المثقفين .

نالت الرواية الترتيب الثالث بمستوى الكتابة الشبابية بمدينة بنغازي العصية على النظام... والتي كانت دائماً تعلن صرخات الاحتجاج والتمرد ضد النظام عن طريق مثقفيها .

يستمر الكاتب حسن بو قباعة المجبري في إعلان رفضه ، خاصة أن بعض الإسقاطات التي استوحاها من سلسلة غياهبنا ستتعرض الآن لكثير من التحوير المباشر، وستأخذ فضاء أكبر، وحرية أوسع ، بعد سقوط النظام. لتكتب لنا عن شخصياته الأخرى المرتقبة وهي أدهم - آدم.

تم طبع الرواية لمرة واحدة وهي بحجم متوسط ،في حدود مئة صفحة متوسطة صدرت طبعتها بعام 2005 ...قرأها الكثير من الكتاب والأدباء فقد كان الكاتب محط متابعة واهتمام من النقاد الذين عرفوه بتعدد الاهتمامات الأدبية، من قصة ، وشعر ، ورواية، ومقال ..و اشتهر بالكتابة البرقية الفلاشية... التي تكتنف أغلب نصوصه الأدبية ...

والمقدرة الواسعة على تجاوز اللت والعجن والإطناب والاستطراد غير المبرر بنصوصه.

خاطرة

› أمل الزعبي

إلى امرأة مهزومة

ها أنتِ تعودين من معركتكِ الطويلة
مهزومة
مضرجةً باليأس تقتاتين عروق الألم
تاريخكِ ليس مجيدا
قصتكِ ليست فريدة
ما أنت إلاَ أنثى مترمدة !!!
(كلكِ) ليس إلا حفنةً من طين زائدة ...
عدتِ إلى ليلك الأعمى
لا تبصرين إلا ظلا
هناك تجردي من نفسكِ
والطمي على وجهكِ ومزقي الخدودا
أطيلي التأمل في مرآتك
ستجدينك رفاتا ورمادا ...
سجلي على زاوية الليل القصية
أسمك الذي تساقطت حروفه الأولى
على ضفة الشاطئ الآخر من وجه الحكاية
تهامسوا فيما بينهم ...
تساءلوا عن امرأة متمردة
أشرأب فضولهم بحثا عن خطواتها
قالوا عنها (قاهرة الرجال)
قطفت المجد زينت به جيدها
رسموها على الجدار ألوانا من ظلال
ما عرفوها ...
حتى أسمها ما وجدوا له عنوان !!!
في حانة اغترابها سكبت كأسها الأخير
تراقصُ أطياف خيبتها
ترتشف فتاتا من الذكرى
حول المائدة اصطفت المقاعد مثقوبة
تعبر من زقاق ليلتها أشباح غفيرة
تقرع الكؤوس بأنامل تساقطت عشرا
والليل شاهد وحيد
كتبت على صدره خاتمة الرواية
مدادها دموعها
وشهيق أحزانها تصاعد زفيرا ...

قصة قصيرة

أبيض في لفافة سوداء

سلطان الزيادنة

قبل أن يلتهم الأفق ما تبقى من كعكة الشمس، ركبت سيارتي كما بندول يمارس حركته التذبذبية دونما وعي....متوجها لرصيف مدرسة البنات الذي دائما ما يسعف شرياني بقهوة (ابن عبده التي ادمنت ابن عبده رجل سمين يعد القهوة ويبهرها بالأخبار الطازجة..(وكالة أنباء محلية).

كان الرصيف بالنسبة للمارين مداساً آمنا من جبروت وطغيان السيارات.....ولكنه كان لي أكثر من مجرد رصيف يجاور شارع،إنه مسرحي الذي لا أحتاج إلا لفنجان قهوة لدخوله،نعم لم يكن مسرحاً عادياً ،فشخوصه تتداخل مع النظارة ببرية ماتعة،أحد أبطال هذا المسرح معتوه اسمه سعيد،يضع (طنجرته) على (بابوره) المشتعل ببركة الكاز، اليحرص دائما على أن يزويه عن الريح،العجيب أن قدره اليغلي كان دائما فارغا،كنت أتخيل أنه سكن قصة العجوز الجائعة وأولادها مع الخليفة عمر، سكن القصة ولم يستطع أن يخرج من دهاليزها لافتقاده لبوصلة الشبع، وما شدني أكثر معتوه جديد في العشرينيات من عمره -هكذا بدا لي على الأقل-، بائن الوسامة لم تستطع رثاثة ملابسه ولا قذارة وجهه أن تنفي عنه هذه الصفة،اقتربت منه لأستبينه أكثر، ويالهول ما استبنت !، إنه جعفر ابن الدكتور شكري،أذهلتني الصدمة، استفقت من وقعها وسألته:

-كيف أنت يا جعفر؟.

أجابني ببلاهة:هل رأيت شيئاً أبيض في لفافة سوداء؟!

لم افهم شيئاً فأدركت أن العوض-كما يقولون - بوجه الكريم.

عدت أدراجي لوكالة الأنباء المحلية، فسارعني (ابن عبده) دون أن أسال قائلاً:

عرفته؟هذا جعفر ابن الدكتور شكري، ذهب لدولة خليجية ليدرس ولكنه عاد كما ترى .

ركبت سيارتي وركبتني أحمال وأرطال من الأسئلة،غادرت أرداف الرصيف هاربا من إغراءات الحضور الطويل في دنيا البشر.

في اليوم التالي وفي نفس الوقت المعتاد ،شاهدت (ابن عبده) وسعيدا لكني لم أر جعفرا!.

مسرح اليوم يبدو غير مكتمل الشخوص،توجهت إلى (ابن عبده) سائلاً فأجابني أن جعفراً في المستشفى، ركضت مسرعاً إلى مركوبي تحت وابل من نداءات (ابن عبده) : خذ قهوتك،لكني عصيت إدمان القهوة إرضاءً لشهوة الجواب.

في المستشفى كان يرقد جعفراً.....كان هادئاً كحمام الحرم، يبدو أني أتيته في ساعة صحو نادر، طلب مني سيجارة،تلفت يمنة ويسرة لأتأكد من خلو الممر من البياض وناولته سيجارة بعد أن أشعلتها، رجوته أن يخبرني قصته فقال:

ذهبت إلى هناك ارتجي الدراسة الجامعية وهناك عرفتها،يا الله كم هي شفيفة! جميلة و حنونة، الغربة والوحدة كادت تقتلني/ تقتلها، علقتها فعلقتني، أحب احدنا الآخر، كانت أيضا تدرس في نفس الجامعة وبين مطرقة الحب وسنديان الرغبة تعذبنا قبل أن نتفق على الزواج

قلت لها: كلمي اهلك في أمر زواجنا .قالت مقاطعة:الجواب أدريه:هل جننت يا بنت.متى زوجنا أحداً من غير مذهبنا ؟!، هل تريدين فضحنا؟ لن تسعنا الدنيا حينها وسينبذنا الناس ويقاطعونا كمرضى الجذام.

قلت لها :حتى وإن كان فعلينا أن نفعل ما يجب،وفعلا كلمت أمها بالهاتف وكان الجواب كما توقعت وهي!

كانت مثلي مغتربة، أنا من بر الشام وهي من الجزيرة،تزوجنا رغم ما كان وجاد الزواج بأول ثمره،فكان الحسين،سعدنا به وملأ علينا دنيانا،وأنسانا واقع الحال، الحال الذي يقول إننا تزوجنا دون أن يدري أهلونا،الحال الذي يقول إننا ننفق مما يرسله أهلونا، ولكن ماذا عسانا فعلنا غير الزواج في أرض تموت نوارسها من سطوة البحر وقداسته المزعومة.

حانت ساعة المواجهة، أكملت دراستي ولا بد لي من العودة لأهلي،ماذا افعل؟ كيف اترك زوجي وولدي؟ كيف سأواجه فاطمة أهلها ؟بأي سكين سيقتلونها ؟.

اتفقنا أخيراً أن لا تبلغ أهلها وان يبقى الحسين معي،وفعلاً عدت إلى هنا وذهبت لخالي فهد الذي عرفته متحضراً متعلماً لا يلتفت لتعصبات المذاهب والنحل وأخبرته بكل القصة.

تطوع لمساعدتي فذهب لأبي وشرح له الأمر فما كان من أبي الا طردي من البيت والبراءة مني في الجريدة الرسمية.

قال خالي:سنذهب لأحد كبار شيوخ العشائر عله ينجدنا بحل.

ذهبنا للشيخ رابح الحاكم وعرضنا حاجتنا :

قال :(وصلتم اشربوا قهوتكم واللي فيه خير يقدمه ربنا).

توجه الشيخ بجاهة كبيرة من علية القوم إلى أرض الجزيرة،فاشترط أهلها أن أطلقها أولا وأن يأخذوا الولد ويقتلوه وأمه وإلا فدمنا الثلاثة حل لهم.

عادت الجاهة بخيبتها،عرضوا علي السلامة فرفضت،.كيف لي أن اترك زوجي وابني لسياف القبيلة والتمذهب الغاشم،لن افعل ، ثم ماذنبي وفاطمة إن كنت سنيا وفاطمة امامية؟!.

وفي اليوم التالي ذهبت لبيت خالي لأرى الحسين فلم أجده!

-أينه حسيني يا خال؟

ضمني وهو يبكي بكاءً شديداً :كان علي أن أريحك من عذابك،لقد أرسلناه لأهل فاطمة، دوار يلفني الآن ما عدت أرى أي شيء من حولي، قتلتني يا خال .

غادرته بنفس الحال التي أتهى بها كلامه: دوار وعتمة طغت على نهار عيوني.

صمت جعفر بعد نوبة من الارتعاش.

بعد عام تقريباً صلينا على جعفر واسكناه التراب عله يجد راحته عند من لا يجار أحد في حماه.

شاهد عيان من أرض الجزيرة قال:

إن امرأة بعباءة سوداء ما زالت تنبش دون كلل صفائح القمامة باحثة عن شيء أبيض في لفافة سوداء.

وشاهد عيان آخر قال: إن رجال الأمن عثروا في صفيحة قمامة على امرأة بعباءة سوداء مقتولة في حجرها طفل صغير يبكي جفاف ثدي أمه.

خاطرة

صرخة قلب

›محمد الدمشقي

تسرقنا الأيام
تخطف النور من ملامحنا
تسلب البسمات
نتساقط حبات رمل
يتسرب الوقت من بين أصابعنا
تشيخ أزهارنا و يسحبنا المشيب
تضيعنا فصول الحب
تهجرنا مواسم الأفراح
و أنت ما زلت مصرة على عزف ألحان الرحيل
تعلقين على صدرك تميمة الغياب
و أنا ها هنا أمارس طقوس الانتظار
أنادم ظلي و صورتك
أحتسي كؤوس الشوق
أبارز طواحين الخيبة
و أكتسي حلة الذبول
ما أصعب أن يتجول الحلم في ساقيك و أنت تراوح في المكان
أن يعمي ضباب الشك بصيرتك .. و لا مطر
تسابق الوهم فيسبقك الضياع
تصارع اليأس فيهزمك الحنين
تبحر نحو جزيرة النسيان
فيلتهم الوفاء مراكبك
لتغرق في دوامة الذكرى
و تعاود السباحة عكس تيار الحياة
تناجي بصوت الحزن فرحا هاربا
و تغني بألم للأمل
ما زلت متمسكا بوعدك الدخاني
مرتديا ثوب رجاء مهلهل يواري ندوب حسراتي
يمزق بعدك أوصالي
و سياط هجرك تجلدني
و ما زلت تمارسين غواية التسويف
حتى غدت كلمات الصبر سيوفا تستبيح دمي
تصدعت جدران ثقتي
لم يعد سقف العهد يحميني
يا سارقة نبضي
يا هاربة كأحلامي
متى سترفعين لواء حبنا
و تخلعين لثام الصمت
متى ستشرق شمسنا و تبدد غيمات الفراق
حتام يبقى الوصال بيننا رسالة عشق غارقة في بحر بلا أمواج
كلما اقتربنا من بر تباعدت شطآننا
و نبقى في كهف السكوت مختبئين
يزاور الضوء عن حكايتنا ذات اليمين و يقرضها ذات الشمال
و الخوف باسط ذراعيه بالوصيد لنا
تعالي نخرج النبض نحو النور
نرفع راية الإحساس
نبعثر أوراق الهروب
نكسر أغلال الواقع
نثور على السكون
اتخذي قرار القلب و اغرقي مثلي
فالحب موت به نحيا .. و الغرام جنون
فإما نكون أو لا نكون

همس حائر

› فاطمة رشاد